

## ﴿ شبهات النصارى وحجج المسلمين ﴾

(البذة الثالثة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد التاسع على تناقض القرآن بزعمهم) قوله تعالى في سورة الانعام « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ الْمَذِينِ اَشْرَكُوا اَيْنَ شَرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعِمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُهُمْ اِلَّا اَنْ قَالُوا وَاللّٰهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا شُرَكَاءَ لِّشَرِكِنَا » انظر كيف كذبوا على انفسهم وضلّتهم ما كانوا يفترون » مع قوله تعالى في سورة النساء « يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْوَا الرَّسُولَ اَوْ تَسْوَى بِهِنَّ الْاَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللّٰهَ حَدِيثًا » والجواب عنه من وجهين أحدهما أن لفظ (يوم) له إطلاقان إطلاق بمعنى مدة بياض النهار أو مجموع ليل ونهار وإطلاق بمعنى الوقت مطلقاً وإذا أُضيف إلى حادثة وقعت أو قدر وقوعها في المستقبل يراد به الإطلاق الثاني ومنه أيام العرب المشهورة لا يريدون باليوم منها بياض نهار ولا مجموع نهار وليل وإنما يريدون الوقت وان كان ساعة واحدة أو أياماً طويلة بحسب الإي إطلاق الاول. ومنه أيضاً ما عبر عنه في القرآن الكريم بكلمة يومئذ أو يوم يكون كذا كقوله « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا » وقوله « يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا » الخ وهنأما كثير جداً لاسيما في سياق الكلام على الآخرة التي ليس فيها أيام تتعاقب مع الليالي فمعى «يوم» في كل آية وقت يحدده الفعل الذي تعلق هو به في الآية أو المضاف إليه كيوم الحسرة إذا تمهد هذا فاعلم ان الآيتين اللتين زعم النصارى تناقضهما تبيين بأمرين يكونان في يومين أي وقتين مختلفين أحدهما حشر المشركين وسؤالهم عن الشرك وقد أخبر أنهم يومئذ ينكرون كما في آية الانعام وتأنيهما إتيان الله بعد ذلك الانكار بالشهداء يشهدون عليهم وفي ذلك الوقت (أو اليوم) يضطرون الى الاعتراف فيمتدحون ولا يكتمون كما في آية النساء وقد حذف المعترض الآية التي قبل قوله تعالى «يومئذ يود الذين كفروا الخ هو هي التي تدل على أن عدم الكتمان إنما يكون بعد شهادة الشهداء وهي قوله عز وجل « فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَيَّ هُوْلًا » شهيداً » ومجموع الآيات يمثل لنا محاكمة في الحساب الاخروي ينكر فيها الخصم جريمته أولاً

ثم يضطر الى الاعتراف بعد شهادة الشهداء وإقامة البينة كما يعمد في الدنيا. والحكمة في هذا ردع العصاة وانهادهم عاقبة الفضيحة في تلك المحاكمة التي لا يظلم فيها أحد. فالآيات متوافقة متطابقة وما أعلن ان ذلك « العلامة النعوي » الذي حرّر الاعتراض يجهل ذلك وإنما هو مكابر ومشاعب

هذا هو الوجه الأول في الجواب وأما الوجه الثاني فهو ما ذهب اليه بعض المفسرين من أن الواو في قوله « ولا يكتُمون الله حديثاً » او الحال وليست او والعطف قندل على عدم الكتمان ومعنى الآية حينئذ ان أولئك الكافرين العاصين تأخذهم الرهبة ويحيط بهم الوجع فلا يتجرأون على الكذب على الله تعالى وإنكار ما كان منهم بل يودون ان يكونوا تراباً فقسوى بهم الارض ولا يكتُمون الله حديثاً يعلمون انه يحيط به وانه لا يعزب عن علمه، كما تقول: أودّ أن أقتل ولا أغشك: أي انني استحب الموت وأفضله على غشك. وبهذا التفسير تكون هذه الآية بمعنى الأولى وهو لا ياباه النظم ولا ينبذه الاعراب ولا ترفضه البلاغة والفصاحة وما هو بتأويل، ولا انحراف عن السبيل، ولو شاء الحبيب ان يكثر من الوجوه لفعل فانه يشترط في تحقق التناقض الاتحاد في الموضوع والمحمول والزمان والمكان، الى آخر ما يسمونه الوحدات الثمان، فكما ان الجواب الاول أبان عدم التناقض لعدم الاتفاق في الزمان ( والجواب الثاني نفي الخلاف بالرة ) فلنا ان نجيب جواباً ثالثاً باختلاف الموضوع فنقول ان التناقض غير متحقق لاختلاف القضيتين في الموضوع فان إحداها تحكي عن المشركين والاخرى عن الذين كفروا وعصوا الرسول وتشمل الموحدين الذين لم يشركوا ولكن كان كفرهم برفض الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام كاشمل الذين آمنوا برسائه، ولكن عصوه في هدايته، وهذه آيات القرآن تصف اليهود بالكفردون الشرك. ثم ان لنا ان نجيب جواباً رابعاً بمنع التناقض لاختلاف المكان فان ليوم القيامة مواقف كما ورد فيحتمل ان ينكر المشركون والكافرون جميعاً في بعضها ويعترفوا في بعض آخر والجواب الاول هو العمدة وينيه في القوة الثاني

( الشاهد العاشر ) قوله تعالى في سورة فصلت « قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ( الى قوله ) وَجَمَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا

وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِمَسَائِلِينَ ثُمَّ أَسْتَوَى  
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ انْقَبِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا  
طَائِعِينَ \* فَخَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ » زعم المعارض ان هذا الكلام يفيد  
أمرين أحدهما انه خلق الأرض والسماوات في ثمانية أيام والآخرة ان خلق السماء بعد  
الأرض لاقبالها لكن الاول منقوض في سبعة مواضع من القرآن بما مضاه انه خلقها  
وما بينهما في ستة أيام لافي ثمانية والثاني منقوض بقوله في سورة التبارك « أَلَمْ نَجْعَلِ  
أَشَدُّ خَلْقًا أَمَّ السَّمَاءِ بِنَاهَا رُبْعَ سَمَكِهَا نَسْوَاهَا ، وَأَغْطَسَ لَيَالِيهَا وَأَخْرَجَ  
ضُجَاهَهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا » . وتقول في الجواب عن الامر الاول ان من  
المستعمل الشائع عند العرب أن يقال مثلاً سرت من القاهرة الى طنطا في يومين والى  
الاسكندرية في أربعة أيام ويراد في يومين آخرين كانا مع ما قبلها أربعة أيام ولذلك  
لم يتوقف أحد من الصحابة في فهم الآية ولم ير مفسروهم كابن عباس وغيره ان هذه  
الآية تحتاج الى بيان وإنما اختلف في إعرابها وإعراب أمثالها الحياة تقدر بعضهم مضافاً  
محدوفاً للقرينة فقال المعنى « في ستة أربعة أيام » كما قدروا في مثل « واسأل القرية »  
ككلمة (أهل) أي أسأل أهل القرية وذهب الزمخشري الى ان الجار والمجرور خبر  
مبتدأ محذوف يفيد ان العمل او السفر كان في أربعة أيام على طريق التذكير  
ولما كان المعارض مطاعاً على هذا ومقتضياً بحسنه في قلبه لم ير سبباً لصرف الوجوه  
عنه الاشم قائليه بتسميه ذلك تأولاً من عبث الولدان وقد رين له تمصيه ان يقول  
انه لو صح هذا « لازم منه ان يقول بعد ذلك عن السماوات فخضاهن سبع سموات  
في ستة أيام لا في يومين كما قال » واحتج على ذلك بزعمه فقال ان موضع التذكير  
الكلام لأوله وقد تجاهل أن الآية التي تنطق بخالق الأرض قد تمت وجاءت التذكير  
في آخرها وأن الكلام في خالق السماوات جاء في آية أخرى ابتدأت بها التي تستعمل  
في التراخي في الزمن أو في رتبة العمل ونوعه بصرف النظر عن رتبته كقوله « هو  
الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » وهكذا شأن أهل العنت والنهب  
والنعصب الذم

وأما الأمر الثاني فقد أخذنا المعترض من اختلاف المفسرين في خالق السموات والأرض  
 أيهما سبق لاختلاف فهمهم في الآيتين . وله بعض العذر - وهو ينظر بعين السخط  
 والنقد - إذا آنس بينهما خلافاً أو شبهة خلاف فتشبت بها وصرف ذهنه عن الجمع بينهما  
 بما جمع به المفسرون . واني أقول ان جميع المفسرين قد قصر وافي تفسير أمثال هذه الآيات  
 التي تسكلم في أمور المبدأ والمعاد وغير ذلك من الأمور الغيبية ولهم العذر فان هذه  
 الأمور لم تذكر في الكتب المنزلة لشرح حقائقها وبيان كنهها بالتفصيل ولا لبيان  
 تاريخها وإنما يذكر الخالق والتكوين للاستدلال على تدبر الله وعامه وحكمته وتوجيه  
 الأنظار الى الاعتبار بما في المخلوقات والمكونات من العلوم والحكم ووجوه المنافع .  
 وقد أجاز بعض علماء اللاهوت من النصارى أن يجيء في الكتب المقدسة من العبر  
 واللائل الصحيحة ما يبنى على اعتقاد لامم المخاطبة بها وان خالف الحقيقة لأن شرح  
 الحقائق الكونية ليس من موضوع الدين وإنما موضوعه الهداية الى الإيمان بالله واليوم  
 الآخر والعمل الصالح وإنما أجازوه لانه كثير في كتبهم

ومن عجائب القرآن وضروب إعجازه انه يصوغ الحقائق في قوالب العبر فترى  
 العبرة بادية يستفيد منها العوام والخواص والحقائق كامنة فيها يستخرج منها أصحاب  
 انقراض والفهوم ما ينتهي اليه استمدادهم في كل زمن بحسب ارتقاء العقول وتقدم  
 العلوم فيه . كان الناس يتلون فيه آيات التكوين منذ ثلاثة عشر قرناً فيبتدون بدلائلها  
 ويتظنون ببرها ولا يرون فيها شيئاً خفائماً للحقائق الكونية التي كسبها العلم . ثم  
 ارتقى العلم الكوني في آخر هذا المدة وقرر أهلها أشياء في أمور الخلق والتكوين تؤيد  
 القرآن من حيث لا ينامون . قلوا ان السموات والأرض قد خلقتا من مادة تشبه  
 الضباب سماها بعضهم سديم كانت مادة واحدة فانفطرت أو انفثقت فكان منها أجسام  
 كرية الشكل انفصل منها كرات أخرى . وقد سبقت الإشارة الى ذلك في القرآن بمثل  
 قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان » وقوله « أو لم ير الذين كفروا أن  
 السموات والأرض كانتا رتقا رتقاً واحداً » وقوله « ناطق السموات والأرض »  
 وقالوا ان هذه الأرض لم تخلق هكذا ابتداءً وإنما خلقت أطواراً فكانت نارياً  
 ثم مائماً ثم يابسة ليس فيها نبات ولا حيوان ثم صار فيها الحيوان والنبات وما حدثت

هذه الاطوار الا بالتدرج الطويل كل طور في زمن يليق به . وهذا التفصيل الذي قالوه يفسر الاجمال في قوله عز وجل « قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » والمعنى ان أصل التكوين تم في زمنين ( ولا تنس ما تقدم شرحه من استعمال كلمة يوم في مطلق الزمان ) ولا يأتى ذلك ان تكون في أحدها كرة نارية وفي الثاني مائة . ثم قال انه بارك فيها وقدر فيها الاقوات حتى صارت صالحة للسكنى وارتفاق الاحياء في يومين تمة أربعة أيام وذلك صريح أو كالصريح في طور الياسة التي ظهرت في الماء وطرر الاحياء التي ظهرت في الياسة . ثم انتقل بعد هذا البيان الى ذكر خلق السماء فذكر انها كانت دخانا وأنه خلقها في يومين أي في زمنين كل منهما تم فيه طور خاص فكان خلق السماء وتكوينها كخلق الارض . ولم يخبرنا بما قدر فيها بعد ذلك ولا بعدد الازمنة التي تدل على عدد الاطوار لان العبرة والاستدلال المتصويدين من ذكر التكوين لا يمان الاقيا للانسان فيه علم ما وان لنا علماء باوجود السموات والارض فذكر لنا خلقهما وعلمنا بما في الارض من الاقوات والخيرات فذكر لنا خلق ذلك

فانت ترى انه لا يراد بالايام التي خلقت فيها السموات والارض ازمان متعاقبة بينهما ولا غير متعاقبة وإنما يراد بها الاشارة الى الاطوار ومن شأن الاطوار ان تتعاقب في كل شيء بحسبه « وَخَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا » فلو فرضنا ان الزمنين اللذين خلقت فيهما الارض هما الزمان اللذان خلقت فيهما السماء بعينهما كما ان الطورين متحدان بالزمن من ذلك شيء يعترض به على التمييز ، اذ ليس المراد بيان التقديم والتأخير ، ومن هنا تعلم ان قوله بعد ذكر خلق الارض « ثم استوى الى السماء » لم يقصد به الترتيب في الزمن بل الترتيب في الذكر كأنه قال اننا سبقنا لكم هذه الآيات من آيات قدرتنا وحكمتنا اننا نسوق لكم آية أخرى . واستعمال (ثم) في الترتيب الذكري كثير في القرآن وفي كلام العرب والمولدين

وأما قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء في سورة النازعات « والارض بعد ذلك دحاها » فلا يدل على ان خلق الارض كان بعد خلق السماء ولا قبله إذ ليس معنى الدحا الخلق والتكوين وإنما معناه تمهيدها للسكنى في نهاية الطور الرابع ولذلك وصل كلمة (دحاها) بتفسيرها فقال « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَأَجْبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » ولا شك ان هذا كله كان بعد خلق السماء ووجود الليل والنهار الذي عبر عنه بقوله « وَغَشَقْنَا

ليها وأخرج ضحاها » فظهر أنه لا تناقض ولا تنافي ولا تخالف بين آيات ( فصلت )  
 وآية النازعات. وثم وجود أخرى ذكرها المفسرون تنطبق على اللغة وإنما ذكرنا ما هو  
 الراجح عندنا بحسب ما وصل إليه علمنا وفوق كل ذي علم عليم

### القسم العمومي

## نظام الحب والبغض - تابع ويتبع

### ما هو الخير والشر ؟

هاتان الكلمتان ( الخير والشر ) وما رادفهما يرد ذكرهما كثيراً في العلم الباحث  
 عن أحوال النفس ومعاملاتها بل عليهما مدار هذا العلم في أوامره ونواهيه لأن  
 الإنسان في محبة طالب خير وفي بغضه هارب من شر . وهذا هو ديدن الإنسان  
 مدة حياته . وكل واحد يعتقد في الجهة التي يطلبها الخير لنفسه وفي الجهة التي يهرب  
 منها الشر ( اللهم الأمبضي ذواتهم ) وكل واحد ينسب للخير ويتقبض من الشر . ولكن  
 هل كل واحد يعرف ما هو الخير وما هو الشر وهل كل من اعتقد في جهة من الجهات  
 الخير أو الشر مصيب ؟ لو كان كل واحد عارفاً بهما لكان كل واحد مصيباً في طلبه  
 وهره ولو كان كل واحد مصيباً لتضاءل الشر وتبارك الخير .

هذه القضايا مسلمة وبناء عليها نسأل ونقال لنا : من ذا الذي يتولى للناس تعريف  
 هاتين الكلمتين ؟ فنقول هم الباحثون في أحوال النفس . فنسأل مرة أخرى ويقال لنا :  
 من هم أولئك الباحثون ؟ هل هم الآ أناس أمثالنا ؟ وفي هذا السؤال رائحة الإيذاء  
 والاستكفاف فيجب أن يكون في الجواب رائحة الرفق والأناة فنقول : الباحثون في علم  
 النفس أناس أمثال غيرهم من حيث الصور الجسدية وكذلك الباحثون في كل علم .  
 ولكن لكل امرئ في هذه الحياة عمل تتفق له فيه اجادة لا تتفق لغيره سيما ان كان  
 ذلك الصير ليس من أرباب ذلك العمل . مثاله الشاعر هو رجل وأنت يا أيها الفساح  
 رجل فقل أنت عاجز عما يعلمه ويسمعه هو ؟ أليس لاينك لم تعان الشعر ؟ ( بلى ) واني  
 أبشرك بأنه هو عاجز أيضاً عما تعلمه وتعمله أنت لأنه لم يعان ما عاينته . كذلك قولوا  
 في الصانع هو عاجز عما يعلمه ويسمعه الحياض والسماني عاجز عما يعلمه الأول .